

المحاضرة التاسعة:

أعلام الفكر والثقافة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية

شهدت الجزائر نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20 نهضة تمثلت في النشاط الاجتماعي والثقافي والفكري قاده جيل من العلماء الأعلام والمصلحين، الذين دأبوا على الاهتمام بالتراث الجزائري القديم وإعادة بعثه مساهمة منهم في الحركة الثقافية والحضارية الإنسانية في تلك الفترة، وكانت هذه الحركة الثقافية والفكرية بزعامة نخبة من الأعلام والشخصيات المتخرجة من المؤسسات الجزائرية كالمساجد والزوايا والمدارس ووصلت هذه الشخصيات إلى مستويات عالمية من التكوين الثقافي، وساهمت بمجهوداتها الفردية في بعث اليقظة الثقافية في الجزائر عن طريق التدريس أو الإفتاء والإمامة في المساجد والمدارس والتأليف، من أمثال: ابن العنابي والأمير عبد القادر والكبابطي، مبارك الميلي، توفيق المدني، عبد الحميد بن باديس وغيرهم. هؤلاء الأعلام والمفكرين حملوا على عاتقهم مسؤولية الدفاع عن الهوية الوطنية الجزائرية والوقوف في وجه سياسة الادمج والتنصير ومحاولة العمل بمختلف الوسائل لاستمرار التعليم الجزائري ومؤسساته وإعادة كتابة التاريخ الصحيح وبعث الحياة في لغة الأصل والأجداد.

1- نماذج من أعلام الفكر والثقافة في الجزائر:

- أبو القاسم الحفناوي (1850-1942م):

هو أبو القاسم محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي المعروف بابن عروس بن الصغير، ولد الحفناوي سنة 1267هـ/1850م، بقرية الدير التي تبعد عن مدينة بوسعادة بحوالي 12 كلم والده هو الشيخ أبي القاسم الديسي "ابن عروس"، وأمّه هي السيدة خديجة بنت الشيخ محمد المازري الديسي وهو من علماء المنطقة.

نشأ الحفناوي في حجر والديه وحفظ القرآن الكريم ووعاه عن ظهر قلب وكان والده ابن عروس من العلماء في اللغة والآدب والفقّه والتوحيد، وذكر الحفناوي على لسان والده أن أجداده كلهم يحفظون القرآن الكريم ويعرفون من الفقّه مالا بد منه كما لهم خطوط جيدة موجودة بهوامش كتب الفقّه المتوارثة في قرية الدير.

بدأ الحفناوي مسيرته العلمية على يد والده فأخذ عنه مبادئ العلوم في النحو والصرف والعروض والفقّه والتوحيد والمنطق والحساب والبلاغة، ثم التحق بزواوية طولقة ببسكرة، واتصل بشيخها الحفناوي بن الشيخ بن علي بن عمرو تلميذ الشيخ بن عروس والد الحفناوي، فأخذ عنه وعن الشيخ مصطفى بن عبد القادر العلوم الشرعية والآداب ومكث في هذه الزواوية أربع سنوات، بعدها انتقل الحفناوي إلى زواوية ابن

أبي داود بتاسلنت بأقبو " في بلاد الزواوة" أخذ فيها علوم القرآن الكريم والفقه والفلك ومكث فيها ثلاث سنوات.

بعد ذلك التحق الحفناوي بزواوية الهامل، وتلمذ على يد مؤسسها محمد بن أبي القاسم الهاملي، وأخذ فيها التفسير بالحديث الشريف، ومكث بها سنتين. وبعدما أكمل الحفناوي تعلمه بزواوية الهامل رجع إلى مسقط رأسه، وهناك عكف على المطالعة والبحث مع تحقيق المسائل وتصحيحها على والده الشيخ محمد الصديق الديسي.

سافر الحفناوي إلى الجزائر العاصمة سنة 1883م لبدأ رحلة جديدة في طلب العلم فتعرف على فئة من العلماء كالشيخ " محمد القزادري " والشيخ "حسن البربهيمات" وأخذ عنهم، وإلى جانب ذلك تعلم اللغة الفرنسية على يد المستشرق آرنو، وهو ما أضاف إلى رصيده المعرفي الكثير، ثم سافر مرات عديدة إلى فرنسا وتمكن من خلالها القيام بأبحاث سواء اقتبسها أو ترجمها عن الكتب الفرنسية خاصة في الفلك والكيمياء، فتوسعت ثقافته وتعددت مشاربها؛ هذا التنوع في التعليم هو ما ميز الحفناوي فقد جمع بين التعليم الديني التقليدي في الزوايا والتعليم الحديث عند الفرنسيين، مما ساعد على صقل شخصيته العلمية وأفكاره وفتحت آفاق جديدة أمامه. وقد كان أول من امتلك آلة الفوتوغراف "الجهاز الحاكي" من بين المسلمين في العاصمة.

توفي الحفناوي يوم 08 جانفي 1942 بمسقط رأسه، عن عمر ناهز 90 سنة ودفن بمقبرة الديس الظهرافية. كان له العديد من المؤلفات أشهرها كتاب: "تعريف الخلف برجال السلف".

- الشيخ محمد بن يوسف أطفيش (1818-1914م):

ولد سنة 1818م في بني يزقن، أصبح بعد ذلك إماماً للمسجد وزعيم المزابيين، جعل من منزله مركزاً لدراسة تلاميذ مدن المزاب وخدمة مناطق العالم الإسلامي، وركز في طريقة تعليمه على القرآن الكريم ودراسة الشريعة الإسلامية واللغة العربية، وكون جيلاً من مؤسسي الحركة الإصلاحية في القرن العشرين.

في سنة 1840 دخل محمد بن يوسف الحياة العامة عن طريق التدريس وشاع أمره في الفتاوي، وبدأ يؤلف في سن العشرين، وعلم النحو على الخصوص. توفي الشيخ أطفيش سنة 1914 عن عمر يناهز 96 سنة تاركا تراث عظيم من الكتب والتأليف في المنطقة وخارجها. ولكن النهضة التي أرسى قواعدها لم تمت بموته بل تبناها تلاميذه والمتأثرون به، وأسسوا سنة 1925 أول معهد في القرارة والمعهد أصبح منارة في الصحراء والنهضة العلمية في مزاب وتلمسان.

- عبد القادر المجاوي (1264-1333هـ/1848-1914م):

ولد عام 1848م، بتلمسان أين تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه، ثم واصل تعليمه في جامع القرويين وطنجة بالمغرب الأقصى، ليعود إلى الجزائر عام 1875م، نشط كمؤلف وأستاذ وإمام ومصلح في أكثر الحالات؛ فاشتغل في التعليم بجامع الكتاني في نفس السنة، ثم المدرسة الحكومية الكتانية عام 1878م، فأستاذًا عام 1898م في المدرسة العليا بالعاصمة وبعدها في المدرسة الثعالبية العليا، وقد تخرج عليه في التدريس كثيرون مثل: حمدان الونيسي، وأحمد الحبياني، والمولود بن الموهوب، كما عمل إماماً خطيباً بمسجد سيدي رمضان بالعاصمة عام 1908م، وكان أحد المدافعين عن اللغة العربية أين قال: "إن اللغة العربية هي أقدم اللغات وأوسعها، وأفضلها على غيرها، يشهد به كل من يعرفها ولو كان أعجمياً".

توفي المجاوي في قسنطينة عام 1914م؛ تاركاً وراءه مؤلفات تجاوزت 15 مؤلفاً في اللغة والنحو والبلاغة والدين وعلم الفلك ومن بينها: كتاب إرشاد المتعلمين الذي طبع في السبعينات في كتيب نشره في مصر ثم وصل إلى الجزائر، وكذا شرح لمنظومة العارف بالله سيدي محمد الإمام المنزلي في آداب المريدين، ورغم المعارضة التي تلقاها الشيخ المجاوي من بعض المعلمين بالمؤسسات التعليمية الذين يقفون بالمرصاد لأي محاولة للتجديد والإصلاح إلا أنه واصل في منهجه ورد بأن تلك الإتهامات ماهي في الواقع سوى علة للوقوف في وجه الإصلاح لخدمة المصالح الاستعمارية.

- عبد الحلیم بن سماية (1283-1351هـ/1866-1933م):

فقيه وشاعر جزائري ولد عام 1866، كان أحد المعارضين للإستعمار الفرنسي، له عديد الأعمال في التصوف والفلسفة فقدت كلها، التقى بالشيخ محمد عبده في الجزائر عام 1903م، الذي أعجب به أيما إعجاب، وكان من المحافظين على مظهره العروبي والإسلامي أين ارتدى العمامة والعباءة الجزائرية وظل يفتخر بها أمام الفرنسيين، توفي بن سماية عام 1933م.

ألف هذا الشيخ بعض الكتب من بينها:

-فلسفة الإسلام بالإضافة إلى عدة مقالات في الصحافة العربية الجزائرية.

-مساهمته في فن الموسيقى العربية حيث حفظت ذاكرته عددا وافرا من الموشحات الجزائرية.

-درس بالجامع الجديد كل ما يتعلق باللغة العربية والعلوم الدينية والشرعية.

- المولود بن الموهوب (1866-1939م):

خطيب وأستاذ وصحفي وأحد أبرز الإصلاحيين الجزائريين، ولد عام 1866م بقسنطينة، ويرى بعض المؤرخين أنه أول من مهد للفكر الباديصي. نشأ بقسنطينة في عائلة علمية ومثقفة، كان والده محمد

السعيد عالما أدبيا وشاعرا. حفظ القرآن الكريم، ودرس على يد أشهر مدرسي قسنطينة كالمكي بوطالي ومحمد الشادلي. وقد جمع بين الموهوب بين الثقافتين الفرنسية والعربية، كان أول جزائري اشتغل مدرسا في المدرسة الفرانكو إسلامية بقسنطينة، ودعى للعلم لأجل الخروج من جميع الأزمات كما أبدى رغبة في المحافظة على هوية مجتمعه. وقد قال عنه أبو القاسم سعد الله: " ليس هناك مثقف جزائري آخر قد فهم وأثر على تاريخ بلده كما فعل بن الموهوب". كما قال عنه أحد معاصريه "أحمد توفيق المدني لو كان الملائكة يمشون على الأرض ويختلطون بالناس ويغشون المجالس لكان المولود بن الموهوب واحدا منهم لا محال".

بعد تتلمذ المولود بن الموهوب على يد أشهر مشايخ وعلماء قسنطينة دخل ميدان الإصلاح والتعليم سنة 1895 كموظف رسمي من جهة، ومبادر بأعمال خارجة عن مهامه الرسمية من جهة أخرى، وهذا بعد أن أتم تعلمه بقسنطينة وظهرت مواهبه وشاعته نجابته فيها، وقد تميز بن الموهوب بمكانة دينية وشهرة أدبية وعلمية جعلته يتبوأ أعلى المناصب والوظائف، فكانت أولى مناصبه مدرسا بالمدرسة الكتانية، وأسندت إليه دروسا في الفقه والعلوم العربية، وفي التوحيد بعد ذلك، والحقوق والآداب، وكذلك العقيدة وقد كان توظيفه باقتراح من المستشرق موتيليكسي مدير مدرسة قسنطينة، فتولى التدريس في الجامع الكبير بقسنطينة، وكانت دروس وعظه تنبع من الكتاب والسنة ومن عقله النير البصير، وكان الناس يعجبون بفصاحته وشجاعته وإخلاصه في تدريسه، وأسندت إليه وظيفة الإفتاء على المذهب المالكي في قسنطينة سنة 1908م، خلفا للطيب بن وادفل الذي شغل هذا المنصب قرابة 30 سنة حتى وفاته سنة 1908م.

وقد ظل بن الموهوب في مهمة الإفتاء إلى غاية وفاته مع بقائه بوظيفة التدريس، وفي نفس السنة أسهم في تأسيس نادي صالح باي الثقافي وفيه كان يلقي محاضراته ودروسه الثقافية، وكانت محاضراته تنشرها الجرائد العربية والفرنسية إعجابا بها، وفي جريدة (كوكب إفريقيا) من محاضراته نشر الكثير، وكان ينشر المقالات الاجتماعية والأدبية المفيدة في الجرائد العربية وكان أسلوبه قويا وموضوعه مختارة. توفي بن موهوب عام 1939م.

- محمد ابن أبي شنب (1286-1347هـ/1869-1929م):

أستاذ أديب ومجيد لعدة لغات أوربية، ولد عام 1869م في المدينة (عين الذهب)، حتى أنه كتب بعض كتبه باللغة الفرنسية، ويعتبر أول جزائري حاصل على شهادة الدكتوراه (في الآداب بجامعة الجزائر بدرجة ممتازة)، تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه فحفظ القرآن عن شيخه أحمد بارماق، درس بعدها في الابتدائية الفرنسية ليترقى ويلج الثانوية، انتقل عام 1886م إلى العاصمة أين التحق بمدرسة المعلمين في بوزريعة، وتخرج منها سنة 1888م وعمره 19 سنة.

لقد واصل ابن شنب دراسته في البلاغة والمنطق والتوحيد على الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن سماية، وأصبح يدرس بالجامعة، وفي سنة 1894م ناب عن الشيخ أبي القاسم بن سديرة في تدريس اللغة العربية بالجامعة، كما درس اللغة الإسبانية والألمانية واللاتينية والفارسية والتركية والعبرانية، وعين سنة 1898م أستاذا بالمدرسة الكتانية خلفا للأستاذ عبد القادر المجاوي. ثم انتقل بعد ذلك للتدريس بالمدرسة الثعالبية بالجزائر، وبعد تحصله على الدكتوراه أصبح أستاذا مبرزا بكلية الآداب بجامعة الجزائر.

ويذكر أبو قاسم سعد الله أن تدرج ابن أبي شنب والتحاقه بمدرسة بوزريعة صادفت بداية التحول في الفلسفة الاستعمارية نحو تعليم الأهالي، فبعد أن كانت هذه الفلسفة تقوم على حرمانهم من التعليم حتى لا يستيقظوا، أخذت في التغير لتفسح المجال أمام فكرة تكوين (نخبة) من هؤلاء الأهالي، لتكون هي صلة الوصل بين الفرنسيين والجزائريين وهكذا كان ابن أبي شنب من نتاج الفلسفة الاستعمارية الجديدة وذلك بحكم تدرجه في المدارس الاستعمارية.

اشتغل أستاذا في عديد المدارس الجزائرية، فعضوا بالمجمع العربي بدمشق، ثم أستاذا بكلية الآداب الكبرى بالعاصمة عام 1924م. حافظ على انتمائه العروبي والإسلامي إذ خطب بزيتة الجزائري في مؤتمر المستشرقين في أوكسفورد، ويمتد إنتاجه لأكثر من ثلاثين سنة وتظهر آثاره في المجلة الإفريقية. توفي ابن شنب عام 1929م عن عمر يناهز 59 سنة ودفن بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي.

—عبد الحميد بن باديس (1889-1940م):

عالم وفقه ومصلح، ولد عام 1889م بقسنطينة، تلقى تعليمه الأول في الكتاتيب أين حفظ القرآن وعمره 13 سنة، ليقدمه شيخه محمد المداسي ليصلي بالناس التراويح في المسجد بالجامع الكبير، انتقل عام 1908م إلى جامع الزيتونة، رحل بعدها إلى المدينة المنورة أين أخذ العلم عن الشيخ حمدان الونيسي الجزائري وكبار علماء مكة والمدينة، ولا شك أن رحلة ابن باديس إلى المشرق العربي، قد أطلعت على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية، وخبر فيها أحوال الناس وشؤونهم وأوضاعهم وطبيعة تفكيرهم واهتماماتهم، مما وسع وفتح آفاقه الفكرية وبصره بطريق الخلاص مما كانت تعانيه الجزائر من تخبط وانحيار وانحزام أمام المستعمر، ذلك الطريق الذي يعتمد أساسا على التربية والتكوين والتوجيه والتبصير.

عاد بعدها إلى الجزائر واستقر في قسنطينة عام 1913م، وفي عام 1931م أسس جمعية العلماء وكانت جمعية تحت غطاء ثقافي هدفها القضاء على الخرافات والبدع التي سادت المجتمع الجزائري، ومحاوله تنويره وإعادته إلى هويته الأصلية، وذلك من خلال الخطب ونشر المقالات بالجرائد.

توفي عبد الحميد بن باديس عام 1940م تاركا العديد من المؤلفات والمآثر والإنجازات العلمية.

-البشير الإبراهيمي (1889-1965م):

ولد محمد البشير الإبراهيمي في قرية (أولاد إبراهيم) برأس الوادي قرب سطيف، غربي مدينة قسنطينة سنة 1889م، في بيت كريم من أعرق بيوتات الجزائر. حفظ القرآن الكريم في التاسعة من عمره، وكان الذي يعلمه الكتابة، ويلقنه القرآن الكريم جماعة من أقاربه جماعة من حفاظ القرآن، ويشرف على عليه إشرافا عاليا عمّه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي، وكان حامل لواء الفنون العربية من نحوها وصرفها ولغتها. ولما مات عمه شرع في تدريس العلوم التي درسها عليه، وأجازه بتدريسها، وعمره أربع عشرة سنة لطلبته الذين كانوا زملاءه في الدراسة عليه، ودام على تلك الحال إلى أن جاوز العشرين من عمره فتاقت نفسه إلى الهجرة إلى الشرق، فاختار المدينة المنورة لأن والده سبقه إليها سنة 1908م، فرارا من ظلم الاحتلال الفرنسي، فالتحق به متخفيا أوائل سنة 1912م، التحق خلالها بالقاهرة بجامع الأزهر وعرف أشهر علمائه.

خرج مع والده إلى دمشق في شتاء 1917م، وألقى بعدها دروسا في الوعظ والإرشاد بالجامع الأموي، ثم دعت الحكومة إلى تدريس الآداب بالمدرسة السلطانية مشاركا للأستاذ اللغوي الشيخ عبد القادر المبارك فاضطلع بما حمل من ذلك، وتلقى عنه التلامذة دروسا في الأدب العربي.

ثم سنحت له الفرصة فرجع إلى الجزائر سنة 1920م، واشتغل بالتدريس، والوعظ إلى سنة 1931م، مدّة عشر سنوات، وفي هذه السنة أسّس هو وجماعة من العلماء المصلحين (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) وانتُخب نائبا لرئيسها الشيخ العلامة المصلح عبد الحميد بن باديس، وبقي في منصبه هذا إلى أن توفي الشيخ ابن باديس في أوائل سنة 1940م، فانتُخب بالإجماع رئيسا للجمعية وهو بمنفاه بأفلو من صحراء وهران، ثم أُطلق سراحه بعد أن قضى بالمنفى ثلاث سنوات فشرع في العمل، والجهد من جديد، فأسس في سنة سبعين مدرسة عربية حرّة، وبقي مستمرا في جهاده هذا مدرّسا وخطيبا، وكاتبا في جريدة الجمعية، ولسان حالها (البصائر)، ومصلحا بين الناس، ومناهضا للسياسة الاستعمارية الفرنسية، ولما قامت الثورة التحريرية المظفرة كان من الأوائل الذي ساندتها بالبيانات، والخطب وبتقديم النصح، والتوجيه لقاتمها والاتصال بزعماء الدول العربية، والإسلامية لطلب التأييد السياسي، والمالي لها. وبعد الاستقلال خطب أول خطبة جمعة في جامع كتشاوة. ثم اعتزل الحياة العامة في آخر أيامه بسبب المرض وكبر السن، ووضِع تحت الإقامة الجبرية، ثم تُوفي رحمه الله في

19 ماي 1965م، عن عمر قارب 77 عاما. وكانت له مؤلفات عديدة نذكر منها:

-عيون البصائر: وهي مجموعة مقالات كتبها بقلمه في جريدة البصائر.

- كتاب: بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية الجزائرية، النقايات والنفايات في لغة العرب، أسرار الضمائر العربية، الصفات التي جاءت على وزن فَعْل، الاطراد والشذوذ في العربية وغيرها.

-الطيب العقبي (1890-1960م):

ولد الشيخ الطيب العقبي ببلدية سيدي عقبة في جانفي 1890م، هاجرت عائلته إلى الحجاز سنة 1895م لأداء مناسك الحج فبقوا هناك. بدأ رحلته العلمية بقراءة القرآن، تأثر بالشيخ عبد الله الشنقيطي والشيخ الحبيب السنوسي في جوانب العلم والأخلاق.

اعتد في تكوين ثقافته على الدراسات القرآنية والسنة النبوية والتراث العربي الأصيل، وجعله هذا بارعا في علوم اللغة والشريعة، فجلس للتدريس بالحرم النبوي.

بسبب خطبه حول قضايا الأمة العربية والإسلامية واهتمامه المفرط بالسياسة، أبعده العقبي سنة 1916م من المدينة المنورة إلى منطقة الروم إيلي، ومنها إلى الأناضول، وفي عام 1918م، عاد إلى بلاد الحجاز وعين رئيسا لجريدة القبلة والمطبعة الأميرية من قبل الملك الحسين.

عاد الطيب العقبي إلى الجزائر سنة 1920م، وبالتحديد إلى مدينة بسكرة (سيدي عقبة) وبدأ في إلقاء الدروس بمسجد سيدي منصور، ثم انتقل إلى العديد من المساجد بالمنطقة، كما شارك في مجالس أدبية في "جنينة البايك" بحضور شخصيات مختلفة كالأمين العمودي، ومحمد العيد آل خليفة. هذا لنشاط المكثف زاد من مضايقة السلطة الفرنسية له واعتقاله مرات عديدة.

اعتمد الطيب العقبي في نشاطه الإصلاحي على الصحافة كوسيلة لبعث النهضة الأدبية والثقافية، فشارك في تأسيس جريدة صدى الصحراء سنة 1924-1926م، وجريدة الإصلاح سنة 1927م. وكان من أبرز أعضاء ومؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

كان العقبي يلقي دروسا في الوعظ والإرشاد بنادي الترقى بالعاصمة، كما كان يلقي دروسا بمساجد العاصمة في التفسير والعقيدة والفقہ. انسحب من المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1938م، وواصل العقبي نشاطه الإصلاحي من خلال مدرسة الشبيبة الإسلامية التي تأسست في حدود سنة 1927م في حي باب الحديد بالعاصمة. توفي الطيب العقبي في داره بالعاصمة سنة 1960م عن عمر ناهز 72 عاما.

-الشيخ الأمين العمودي (1890-1957م):

ولد محمد الأمين العمودي في وادي سوف عام 1890م ووالده هو الأمين بن يوسف العمودي أمّا أمه فهي مبروكة بنت علي عبيدي، ويذكر بأن عائلة العمودي تعود إلى أصول تونسية.

عاش العمودي طفولته يتيما إذ فقد والده فكفله عمه عبد الرحمن الذي يعرف كشخصية مثقفة ثقافة عربية وإسلامية. وتحصل على الشهادة الابتدائية في دورة ماي 1905م ليلتحق بثانوية بسكرة، ولما بلغ سن السادسة عشرة دخل المدرسة الفرنسية الإسلامية بقسنطينة، ورغم إنكاره لأي فضل لها في تكوينه إلا أن الواقع والدراسات والنماذج تثبت أن دورها كان كبيرا في إعداد كثير من الجزائريين وتكوينهم تكوينا جيدا مقارنة بغيرها من المؤسسات رغم أهدافها الاستعمارية الواضحة.

تخرج العمودي من المدرسة الفرنسية الإسلامية ليلتحق بعالم الشغل متدرجا من كاتب عدل إلى مساعد ترجمان إلى وكيل شرعي حيث تنقل بين محكمة فح امزالة ومحكمة بسكرة ثم الجزائر. وقد استقال من العدالة الفرنسية وانتقل إلى مهنة مساعد مترجم ثم أصبح وكيل شرعي في بسكرة ثم باتنة ثم الجزائر كما تم انتخابه رئيسا بجمعية الوكلاء الشرعيين، ونتيجة لمواقفه المعادية للسياسة الاستعمارية تم توقيفه عن العمل لمدة ستة شهور، وهو ما أدى به إلى ترك هذه المهنة نهائيا والتفرغ لعالم الكتابة والصحافة.

ومن المعروف أن العمودي كان لم يسلم من متابعات الإدارة الفرنسية له سواء في نشاطه المهني أو الصحفي، ومنها ما ذكرته جريدة "البصائر" في جوان 6393 حيث كتبت عن الحكم القاسي الذي تعرض له مع زميله الفرنسي جوكلازي.

برزت المهوبة الصحفية للعمودي منذ شبابه خاصة أنه يتمتع بإتقان وامتلاك اللغتين والثقافتين العربية والفرنسية، فمنذ نعومة أظافره كان يكتب القصائد الشعرية والخطب القوية، ومن بين الجرائد التي أرّخت لهذا النبوغ وباللغتين العربية والفرنسية نذكر الإقدام والنجاح والمنتقد والإصلاح وصدى الصحراء وجريدة الجزائر، والشهاب والجحيم والشريعة والصراط السوي والبرق، والبصائر والأمة (لأبي اليقظان) وغيرها. كما كتب في الجرائد التونسية. وكتب العمودي باسمه أو بأسماء مستعارة مثل الفتى الزيباني وسمهري.

ونظير جهوده الصحفية ودفاعه المستميت عن مشروع الحركة الإصلاحية وتقديرا لمكانته الثقافية وخبرته القانونية تم اختياره كاتبا عاما (أمينا عاما) للجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها وإلى غاية عام 1935م. وقد بلغ من الثقة في شخصه أن الشيخ عبد الحميد بن باديس اشترطه لمرافقته في رحلة وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري نحو باريس في جوان 1936م باعتباره مترجما بينه وبين الحكومة الفرنسية.

وتكاد تجمع أغلب الدراسات والشهادات التي وردت حول شخصية الأمين العمودي بأن دوره الحاسم في الحركة الإصلاحية الجزائرية عموما وجمعية العلماء خصوصا هو نفسه السياسي القوي الثائر واتساع فكره السياسي الذي ساهم في تطوير مطالب الجمعية وتصوراتها خاصة في المواضيع الحساسة كالتجنيس وإنشاء الأحزاب السياسية أو العلاقة معها.

وقد برز قلم وفكر الأديب والكاتب الاجتماعي محمد الأمين العمودي جليا متدفقا بالحس الوطني والاجتماعي نتيجة لمعايشته بسطاء الناس في المحاكم وعلماء وأدباء ذوي ثقافات متنوعة. وما عتم العمودي أن أصبح نتيجة لثقافته الواسعة وجرأته من رجال الصحافة البارزين الذي فضح قلمه الاستعمار وأعدائه، فلا تكاد تخلو صحف الجزائر ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية من مقال له قاتل أو عمود يضرب به عدوه وأعداء الأمة فقد كتب في مختلف الصحف الجزائرية وحتى التونسية بالقلم العربي والفرنسي وفي مختلف الأغراض السياسية والاجتماعية والأدبية معلقا عليها ودارسا لحيثاتها ونتائجها القريبة والبعيدة.

إستشهد الأمين العمودي في 10 أكتوبر 1957، وقد عشر على جثمانه قرب السكة الحديدية عند قرية العجبية، حيث إغتالته يد الاستعمار الغاشم وهو في طريقه إلى عمله بمحكمة الجزائر. ومما يذكر أن السلطات الاستعمارية أذاعت آنذاك أن الشهيد محمد الأمين العمودي رمى نفسه من القطار وهو يحاول الفرار، وقد تكرر هذا السيناريو من الاستعمار كثيرا لتبرير جرائمهم واغتياالاتهم للمناضلين الشرفاء.

-مبارك الميللي (1898-1945م):

مبارك الميللي هو الشيخ مبارك بن محمد بن رابح بن علي إبراهيمي لقبه ولقب أسرته براهيمي ملقب بالميللي نسبة إلى مدينة الميلية بشرق الجزائر التي ولد بها سنة 1898م، عاش يتيم الأبوين تحت كنف جده وجدته الدين وربياه على الأخلاق الاسلامية.

بدأ تعليمه بدوار أولاد مبارك بمدينة الميلية، وعكف منذ صغره على حفظ القرآن الكريم، فأتم حفظه على يد الشيخ أحمد بن الطاهر مزهود في جامع الشيخ عزوز بمسقط رأسه، في 11 من عمره، ورغم رفض عمه- الذي تولى كفالاته بعد وفاة جده - توجيهه لطلب العلم، وألزمه بالالتحاق بالفلاحة والرعي، فإنه صمم على استكمال طريق العلم، فالتحق بمدرسة الشيخ محمد بن معنصر الشهير بالميللي ببلدة ميلية، لمواصلة مسيرة طلب العلم، ومكث هناك نحو أربع سنوات، حيث بدأت شخصيته العلمية تتشكل، قبل أن يتجه إلى مدينة قسنطينة، لينضم إلى دروس الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر، وليصبح من بين أكبر تلاميذه وأكثرهم انتفاعا بعلمه، فقد كان الجامع الأخضر محطة هامة في حياة الميللي؛ حيث تم إرساله ضمن الطلبة المتفوقين إلى جامعة الزيتونة بتونس، فنهل العلم على يد أبرز علمائها الذين كان لهم الأثر البالغ في تكوينه العلمي، ومنهم: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ محمد النخلي، والشيخ البشير صفير، وغيرهم. ونال عام 1924م شهادة العالمية بجامع الزيتونة والتي كانت تسمى شهادة التطويع.

بعد عودته إلى الجزائر انخرط الشيخ مباشرة في العمل الإصلاحي، إلى جانب إخوانه من العلماء المصلحين، وفي البداية استقر الشيخ للتعليم في مدينة قسنطينة، يدرس لطلاب العلم بالمدرسة الباديسية

حتى 1927، ثم دَعاه سكان مدينة الاغواط (1927-1933م) للتعليم فافتتح هناك مدرسة جديدة عَرَفَت قبولاً متزايداً ونشاطاً متنامياً، حتى أصبحت حديثَ الخاص والعام، مما أثار تخوُّف سلطات الاحتلال الفرنسي من آثارها الإيجابية على الشباب خاصة والشعب عموماً، فمَنَعته من الاستمرار في التعلم، وأمرته بمغادرة المدينة بعد سنوات من النشاط المضني فيها.

عاد إلى مدينة الميلية وأسس فيها مسجداً كان يدرس ويخطب فيه. وكان الأستاذ مبارك الميلبي أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأحد أعضاء مجلسها الإداري حيث عُيِّن أميناً للمال للجمعية بعد إعلانها، لينخرط في النشاط الإصلاحي رسمياً في الجزائر عبر كلِّ منابره، فقد كان إماماً خطيباً ومعلِّماً متفانياً وصحفيّاً ومؤرخاً وكاتباً وإدارياً مخلصاً. وقد تعدد نشاطات الشيخ بين العمل الدعوي والتعليمي والكتابة في الصحافة والإشراف على جريدة البصائر، بالإضافة إلى مسؤوليته كأمين مال لجمعية العلماء المسلمين، توفي بالميلية سنة 1945م، تاركاً العديد من المؤلفات نذكر منها: كتاب: "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، "الشرك ومظاهره"،

قائمة المصادر والمراجع:

- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، 1980.
- مبارك بن محمد الميلبي، ابن باديس وعروبة الجزائر، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- محمد عباس، الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر، الدار المعاصرة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- مهديد إبراهيم، مقارنة حول النخب والمثقفين الجزائريين خلال الحقبة الكولونيالية، الحوار المتوسطي، ع15-16، مارس 2017.
- سلاف نعيمة، النخبة المثقفة والسلطة في الجزائر...، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير، جامعة وهران، 2013.